مجلة الحكمة للدراسات الاعلامية و الاتصالية
Eissn :2600-6863 Issn : 2353-0502
المجلد9 / العدد 01 (2021)، ص 138 – 160.

الاتصال الرقمي وتحديات ما بعد الحداثة
قراءة في سياقات التنظير.النمذجة الاتصالية الحضارية الوسطية في ظل الفواعل الدولية المتعددة لسياق ما بعد الحداثة «عرض اقتراح مشروع مقاربتي»

الأستاذة: محمد بلقاسم صبرينة[1]
[1]جامعة وهران 1أحمد بن بلة- الجزائر.

تاريخ الاستلام 2020/11/30 تاريخ القبول: 28 /2021/02 تاريخ النشر: 2021/06/25

ملخص:

تعكس هذه الدراسة رؤية أكاديمية ونقدية فيما يتعلق بالاستخدام الوظيفي لنظرية المعلومات والاتصالات ، والعديد من التحديات والقضايا التي تواجه تنميتنا. .لذلك ؛ شرح هذه المجمعات المتناقضة - قادنا إلى التدخل في النهج متعدد التخصصات من أجل الوصول إلى فهم مثالي لمتغيرات وسائل الإعلام الجديدة وسائل الإعلام الجديدة ، ودفعنا نحو الاستثمار النظري الذي يأخذ جوهره من مبادئنا للهوية دون إهمال الاستثمار النظري الذي يعلق جوهره من مبادئنا للهوية دون إهمال التراث النظري لعلوم المعلومات والاتصالات برؤية تصفية هذه التراكمات المعرفية.

Résume :

Cette étude reflète une vision académique et critique vis-à-vis a l'usage fonctionnel des théorie de l'information et de la communication .dans la lecture des phénomènes émergés de la mutation numérique qui a bouleversé surtout les sociétés arabes et musulmanes en mettant plusieurs défis et enjeux devant notre

développement. .Donc ; l'explication de ces complexes paradoxales-nous a mené a intervenir l'approche interdisciplinaire afin d'arriver a une compréhension idéal des nouveaux variables médiatique the new media, nous a poussé vers un investissement théorique qui prend son essence de nos principes identitaires sans la négligence de l'investissement théorique qui pend son essence de nos principes identitaires sans la négligence de l'héritage théorique des sciences de l'information et de la communications avec une vision de filtrage de ces accumulation cognitives.

إنّ قراءة السيرورة التنظيرية للفكر الاتصالي في بعديه السياقي والتوظيفي للمفاهيم. يطرح رهانات حضارية هوياتية، كون أن النشأة التأسيسية للمفهوم الإعلامي والاتصالي تمخضت عن تغيرات اجتماعية سياسية، اقتصادية غربية. إلّا أنّ الامتداد التقني والرقمي التواصلي، واكتساحه لمختلف الفضاءات رغم تمايزها الهوياتي، منح الحقل التنظيري الغربي مشروعية أحقية تفسير مفرزات الظاهرة الاتصالية الرقمية رغم اختلاف الخصوصيات الثقافية في إطار الفكر المُعَوْلَم القائم على التنميط.

إلّا أنّ هذا الامتداد التنظيري نجم عنه انحصار تفسيري، خاصة مع تعقُّد طبيعة مخرجات الظاهرة الاتصالية الرقمية على مستوى فضاءات النقاش العمومي الرقمي الافتراضية، وعلى مستوى أنظمتنا الاجتماعية في جميع مستوياتها سواءً، الطبيعية البنيوية، أو الوظيفية أو الرمزية التواصلية.

و ذلك في ظل تغيرات جيوستراتيجية دولية ظهرت تجلياتها مع بوادر حراك الثورات العربية، واختلفت مآلاتها باختلاف مدخلات، ومخرجات كلّ حالة.

أمام العمق التداخلي للظاهرة الاتصالية الرقمية بالأبعاد السيكولوجية، الاجتماعية، والسياسية للمجتمعات العربية المسلمة، تتبلور اشكاليتنا كالتالي:

ما هي آفاق فاعلية تلقي العقل العربي الإسلامي بخصوصيته المحلية، وتشاركيته التكنولوجية الدولية، للإنتاج التنظيري الاتصالي الرقمي في ظلّ أطر مابعد الحداثة؟

1. قراءة في النظرية الاتصالية المدمجة أو المتعددة التخصصات:

إنّ التموقع الإبستيمي المتعدد الأقطاب، لمفهومي الإعلام والاتصال منحهما شرعية توسطية، في ظلّ ما أدلت به النظرية المتفهّمة وذلك «بإعادة بناء النظام الفكري من سنوات الثمانينات، مرورا بأعمال مدرسته بالو التو سنة 1972. دون إغفال سنوات الخمسينات التي برزت فيها الدراسات النفسية، التي عكفت على تحليل التحفيز في الرسائل الإشهارية. وكذا الدراسات الاجتماعية التي اهتمت بدراسة الإقناع في الدعاية والخيال السينمائي، والفلسفة من خلال الأيديولوجيا في الاتصال الجماهيري. ثم الدراسات البنيوية والسيميائية[1].

كما أكد الأكاديمي «جون كون» Jean Caune هذا التوجه العام للنظرية الاتصالية، وأنها لا يمكن أن تتموقع خارج مجموعة من الأطر المعرفية الإنسانية والاجتماعية، بأبعادها المفاهيمية والقيمية في قوله: «إنّ تحليل الوقائع الثقافية في البعد الاتصالي، تنبثق من سيرورة في العلوم الإنسانية»[2].

و يبرّر هذا المفكّر هذه المقاربة النظرية كالتالي: إنّ شرعية هذا المنهج، ما هي إلّا نتاج لطبيعة الظواهر التي نصادفها في النظام الاجتماعي، والتي تنتج عن علاقة الإنسان ونشاطاته مع الآخرين»[3].

[1] Alex Mucheilli, Les sciences de l'information et de la communication, 3ème Edition - - paris, Hachette, 2001, p 85.
[2] Jean Caunne, Culture et communication, convergence théorique et lieux de médiation, - - paris, presse universitaire de Grenoble, 1995, p 55.
[3] IBID, p 55.

ولقد أدّت إعادة هيكلة النظرية الاتصالية، من خلال تجاوز الطرح الكلاسيكي، المتمثل في الاستعارة المسيطرة من خلال النموذج النظري مرسل-مستقبل والمتمركز حول فكرة استقلالية رموز الرسالة الذي وجهت له انتقادات، كونه سياق الاتصال، ومنظومتي العلائقية الرمزية والقيمية بالإضافة إلى البعد التأويلي للعلامات المشفّرة. ولقد حلّل دانيال بونيو Daniel Bougneaux في كتابه: مقدمة لعلوم الإعلام والاتصال الوضع الابستيمي لهذا التخصص معترفا: بوجود تشعبات تحليلية تتداخل فيها أطر تنظيرية من حقول مختلفة.

مما يؤدي إلى حتمية اندراجها في خانة التعدد المعرفي كونها تشكل تقاطعا مع إشكاليات الحقول المعرفية الأخرى[4].

- قراءة في نماذج تنظيرية للمقاربات السيكواجتماعية لظاهرة الاتصال الرقمي في أطر ما بعد الحداثة:

لقد أصبح المطلب الدولي المتعلق بتحقيق الشخصية الصحية healthyself والتي رأت إحدى الدراسات الأمريكية أنه يتعلق بمعيارين: أولهما: المعنى الذي نعطيه للحالات «what meaning we give to the situations»[5]، ثانيا مقاربة نظام معتقادتنا (belief system).

لتفاقم أهمية هذا المتغير، أمام رهانات الاتصال الرقمي. ففي مقال بعنوان: «الفايسبوك بين ظلّ وضوء Facebook entre ombre et lumière»، لنيكولا كيكون Nicholas Guéguan بتاريخ 12 مارس 2014 في مجلة العقل وعلم النفس Cerveau et psycho، أكّد الباحث «على أن مواقع التواصل الاجتماعي

[4] Daniel Bougnoux, Introduction aux sciences de la communication - - Paris, La découverte, 2001, p 111.
[5] www.google.com / https://psychcentral.com/disorder/anxiety2017

تؤثر على شخصية المستعمل. من حيث تقييم تمظهرات الانتماء، وسلوكات الانخراط في الشبكة الاجتماعية»[6].

و في دراسة أخرى، في ذات المجلة عولجت إشكالية: «هل الفايسبوك يغيّر أدمغتنا؟ وانتهى البحث إلى أنّ مواقع التواصل الاجتماعي تدعم النرجسية والفضائحية L'exhibitionnisme»[7].

في حين أنّ دراسة ديدي كوبر Diddier Courbet التي تلخصت في مفهوم «الفومو» اختصارا لعبارة الخوف من إضاعة شيء ما Fear of missing out تظل لحدّ الآن معادلة تختزل عناصر الإجابة البحث عن إدمان الارتياد على حسابات التواصل الاجتماعي- الأمر الذي أدّى حسب الدارسين إلى استفحال ظاهرة «القلق الاجتماعي» (une anxiété sociale).

قراءة في المقاربة الألسنية لعلوم الإعلام والاتصال:

يرى الدكتور عزي عبد الرحمن في طرحه المقارباتي لمفهومي المخيال والدراما: أن هذه الأخيرة تمثل في المجتمع المعاصر وحدة متداخلة، متكاملة وليس بالإمكان، التمييز بين جانبي هذه العملية المندمجة منهجيا[8]؛ معرفاً وسائل الاتصال بأنها الوسائط المكتوبة والسمعية والبصرية التي تعمل على إدارة الإنطباعات التي تترسخ في أذهان الجمهور في شكل صور، وأحاسيس وتفاعلات وتأملات[9].

[6] www.google.com / https://www.cerveauetpsycho.fr/sd/spdychologie-soci

[7] www.google.com / https://www.cerveauetpsych.fr/sd/spychologie-soci-N2-Facebookchanget'ilnotrecerveau

[8] د. عزي عبد الرحمن، دراسات في نظرية الاتصال، نحو فكر إعلامي متميّز، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2003، ص 72.

[9] د. عزي عبد الرحمن، دراسات في نظرية الاتصال، نحو فكر إعلامي متميّز، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2003، ص 72.

و هو يدعم أنّ العلامات، الصور، والأيقونات كلها تتهيكل في عالم رمزي هذا الفضاء الذي تمثل اللغة أحد أهم روافده. ونستدخل في هذه التوطئة مقاربة غريماس الدلالية والتي عالج في أحد أهم إشكالياتها الوجه العلائقي للمعنى بالاتصال Ségnification communication.

و لقد أولى «بأنّ وحدات المعنى تتمظهر أي أنها تمنحنا ذاتها خلال عملية الإدراك وأنّ الاتصال يجمع شروط هذا التمظهر لأنه خلال الفعل الاتصالي في الحدث الاتصالي يتلقى المدلول بالدال»[10].

على نحو مقارب حلل برنارد لاميزيت Bernard Lalizet في كتابه Sémiotique de l'événement أو سيميوطيقا الحدث. وظيفة بنية الوسائل الإعلامية والاتصالية، وأنها تساهم في تكوين الوساطة الرمزية والسياسية للزمن في الوقت، الذي يسهم هذا التمثيل في تأسيس مقاربتنا الجماعية[11].

مميزاً بين طابع تمثيلي للحدثِ المعالج من طرف هذه الوسائل وأنه يتراوح بين:

«الحدث الواقعي Evénement réel: المتعلق بالأنشطة الممارسة في الإطار الاجتماعي.

الحدث الرمزي Evénement symbolique: مبني على التجربة الاجتماعية من خلال الوعي المشترك.

الحدث الخيالي Evénement imaginaire: يتعلق بالتصورات الفردية المنعزلة عن التجربة»[12].

---

[10] Greimas, Sémantique structurale, Paris, Armang-Colin, 1996, p 30.

[1111] Bernard Lamizet, Sémiotique de l'événement - - Paris, Lavoisier, 2006, p 20.

[12] IBID, p 50.

وعليه نجد أنّ هذه الإدلاءات التحليلية السيميائية والدلالية لأنماط الحدث الإعلامي، تطرح توظيفات للمقاربة الألسنية في قراءة متغيرات الإشكالية الاتصالية على مستويي النظرية والمنهج.

خاصة إشكاليتي خطابي الصورة ببعده الأيقوني والكلمة، بحضورها العلاماتي وروحها التناصية.

ولقد وضح وشائح هذه التفريعات امبرتوايكو في قوله: «إن الطريقة الوحيدة لتبليغ فكرة بشكل مباشر هي ما تقدمه الأيقونة. إنّ الأيقونات الذهنية هي صور بصرية تحليل عليها العلامات، عن الرمز يعادل حالة الوعي. وتشكل حالة الوعي هذه الفكرة يمكنها الائتلاف مع أفكار أخرى لتنتج أفكارا بالغة التعقيد»[13].

- **المقاربة القيمية للدكتور عزي عبد الرحمن:**

تقوم لبنة هذا التيار المعرفي على الإعلام على نظرة نقدية للمفاهيم المسلَّمِ بها عرفيا في العلوم، الإنسانية والاجتماعية. ومن زاوية أدّقِ فقد أحدثت ربكة علمية في البنيان النسقي لبعض التوظيفات الاستعمالية، في السياق التنظيري، السياق التنظيري، كمفهومي الرأي العام، الدراما، القيمية، فالثقافة.

فالدكتور عزي عبد الرحمن يرى أنه إذا كانت الثقافة ناتجا إنسانيا، أي أنّ الثقافة ظاهرة اجتماعية يتم انتاجها باستمرار في العلاقات الاجتماعية[14]، مما يستلزم عنه أنّ الثقافة ظاهرة نسبية ترتبط بالواقع المعايش في زمان معين ومكان محدد.

[13] امبرتوايكو، العلامة، تحليل المفهوم وتاريخه، تر: سعيد بنكراد، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2007، ص 341-342.

[14] د. عزي عبد الرحمن، دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر إعلامي متميز، مرجع سبق ذكره، ص 103.

... ففي منظورنا، أن الثقافة في أصلها ظاهرة دينية ثم أخذت بعداً اجتماعيا بالممارسة إما في العلاقة مع القيمة الدينية الأصلية اقترابا منها أو ابتعادا عنها[15].

ليقيم على ضوء هذا الطرح المفاهيمي الترابط العلائقي بين الثقافة كعالم معنوي ووسائل الاتصال كعالم رمزي، يتوسطهما عالم مادي معايش. أين تتمظهر عملية تملجئ الفرد من عالمه الحقيقي إلى الفضاء الرمزي وذلك «رغبة» في الإفلات مؤقت من عالمه المجسّد[16]. كما تسهم هذه العملية بشكلها الانتقائي والمتعدد في عصر السمعي البصري، ثم في ظل مجتمع المعلومات، حيث تتداخل المضامين، متجاوزة الحدود الجغرافية في التأكيد على فرضية «النظر إلى الذات والمجتمع من زاوية خارجية»[17]. حيث ينتهج المتلقي سيرورة إدراكية انطباعية قائمة على بناء نظرة تمايزية بين الخصوصية الثقافية، والثقافات الأخرى.

ومن تداعيات هذه المحطة، أنها تسهم في توسيع شبكي «للوعي العالمي على حساب الخصوصيات المحلية». وذلك ما تفسره مقاربة «تضييق المحيط»[18]. حيث أظهرت نظرية المحيط الواسع والمحيط الضيّق، أن وسائل الاتصال تلعب دوراً سالبا بطريقة غير مقصودة في المجتمع الغني بالعادات والتقاليد والتفاعل الاجتماعي، ذلك أن وسائل الاتصال تبعد أفراد المجتمع بعضهم عن بعض[19]. وينجر عن ذلك حالة من التشابه بالمجتمعات الموصوفة بالانعزال الاجتماعي، وضعف الرابطة الثقافية.

على ضوء هذه المقاربات النظرية الإعلامية والاتصالية، أقمنا نظرتنا التأسيسية للمقاربة الاستكمالية البدائلية، والتي تقوم دائرتها على:

---

[15] نفس المرجع السابق، ص 103.

[16] نفس المرجع السابق، ص 110.

[17] نفس المرجع السابق، ص 114.

[18] نفس المرجع السابق، ص 118.

[19] نفس المرجع السابق، ص 117.

- **النمذجة الاتصالية الحضارية الوسطية في ظل الفواعل الدولية المتعددة لسياق ما بعد الحداثة «عرض اقتراح مشروع مقاربتي»**

إنّ محاكاة النماذج الاجتماعية، طبيعة بشرية مستمدة من عمق شعور تجاوز بعض المتطلبات الشخصية للأنا الفردي، قصد استيفاء الدرجات المعيارية للأنا الجمعي. وقد أفرزت التدفقات الإعلامية الجديدة، رسائل مرمزة بتشفيرات إيديولوجية، تعتمد في استراتيجيتها الإقناعية اتصاليا، على منهجية تسويقية مما بلور على مستوى الفضاء الاتصالي الدولي الرقمي ظاهرة صراع النماذج على الطلائعية العالمية، وذلك بشكل يستهدف الشخصية، كتكوين نفسوعقلاني وجسدي، التعابير، الإيماءات، التصورات، المفاهيم أي أسلوب للحياة، بنمطية تفكيرية خاصة، عن منطق فهم الأطر الكبرى «الدين- الحياة- المجتمع، الثقافة» الأنا والآخر.

ولقد أظهرت المحاولات الاستباقية في المجتمعات العربية والإسلامية، لاستهلاك أنماط الشخصيات المسوقة عالميا والتي تراوحت في درجتها بين النجومية، والطريق إليها إشكالية اجتماعية ثقافية ذات أبعاد نفسية في تردّداتها الانعكاسية، التي تتراوح بين درجة القلق المرضي كعرض اضطرابي، لعدم التوافق، والانسجام مع الواقع. إلى الفصام نظرا للشرخ الموجود، والمفقود المرغوب، والذي لا تؤدي استعارة البدائل في إشباع هذه الحاجة غلّا إلى نوع من العلاج المرهمي الذي يحوّل دون تحقيق الطلب. فالتكنولوجيا الحديثة للإعلام والاتصال قد تجدي من حيث آلية عرض المضامين التسويقية في شتى المجالات، وكذا من حيث إقناع الأطراف المنخرطة في الفضاء التواصلي الرقمي على انتقاء خيارات النمذجة الرقمية العالمية، لكن الفشل في التطبيق هو واقع أزمة الثقافة الهجينة، التي لم ترتع في محاضنها الأصلية.

ولقد عبّر عن هذه الظاهرة من مقاربة اتصالية Alex Mucchieilli في كتابه Les sciences de l'information et de la communication بالحالات المتناقضة Les situations paradoxales[20]، ممفهما أنّ «التناقض بأن يكون الشيء ذاته، وفي ذات الوقت هو شيء آخر»[21].

Dans le paradoxe, une chose est à la fois elle-même et autre chose.

تستمد هذه المقاربة دلائلها التنظيمية لعناصرها الفكرية من أفكار هدفيلد في كتابه علم النفس والأخلاق، في قوله الذي أدرجه مالك بن نبي والمتمثل في: «إنّ المثل الأعلى هو أقوى عامل في تقرير خلق الإنسان، وفي تعيين مسلكه لأنه هو وحده الذي يستطيع تنبيه الإرادة وتنظيم جميع الغرائز»[22].

من هذا التموقع القولي بنى مالك بن نبي نظريته في «تنظيم الطاقة الحيوية في الإطار الاجتماعي لتوجيه هذه الطاقة الحيوية»[23].

مستندا في بعده الإثرائي لهذه المقاربة البسيكوقيمية إلى سؤال أورده هدفيلد جوهره: «هل نترك لكلّ إنسان إذن اتباع الطريق الذي يبدو له مؤديا إلى المثل الأعلى؟

إننا إن فعلنا ذلك فسوف يجد اللص مثله الأعلى في السرقة، كما سيجده في عبادة القوة»[24].

---

[20] Alex Mucchielli, Les sciences de l'information et de la communication, 3ème édition, Paris, Hachette, 2001, p 99.

[21] Alex Mucchielli, Les sciences de l'information et de la communication, 3ème édition, Paris, Hachette, 2001, p 99.

[22] مالك بن نبي، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص 72.

[23] نفس المرجع السابق، ص 72.

[24] مالك بن نبي، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص 72.

وقد تكون دوافع السلوك متراوحة بين مليات الطبع البشري، وأساليب التلقين الاجتماعي، ولا يمكن إغفال الدور الحتمي الذي اجتاحته وسائل الإعلام والاتصال في تسلسلية تاريخية لبناء نماذج سلوكية في شتى المجالات، الاقتصاد التجارة، الحياة الاجتماعية، وغيرها.

أورد Bernard Lamizet في كتابه Sémiotique de l'événement قولا مفاده «أن وسائل الإعلام والاتصال تشكل مقاربتنا السيميائية للوقائع الاجتماعية التي تُرَنم تاريخنا وانتماءنا»[25]. وأنها «تشكل جملة من المنطقيات والسيرورات البنائية لاجتماعيتنا الخاصة بنا»[26]. لتسهم هذه «الوسائل في تأسيس هوياتنا ذاتها»[27].

La constitution de notre identité même.

و يلعب ترويج منطق التقليد والمحاكاة السلوكية، دورا فاعلا في هيكلة عقول المتلقين، وولوجها طور الانصياع المحاكاتي. ولقد مفهم مالك بن نبي مفهوم التقليد «أنه مجرّد تفصيل يومي – يرتفع إلى مستوى مفتاح للتفسير. إذ هو يمثل لنا هذه الألاعيب على أنها أمور عادية كثيرة الوقوع»[28].

فمحاكاة النماذج المشفّرة إعلاميا من شانها بناء نمط من الوضعيات الذهنية القائمة على منطق اعتباد المألوف المشاهد والمسموع والمكتوب في فضاءات التلقي. ثم نقل هذه العلامات والرموز من فضاءات التلقي، إلى فضاءات الواقع المعاش.

[25] Bernard Lamizet, Sémiotique de l'événement - - Paris, Lavoisier, 2006, p 20.

[26] Bernard Lamizet, Sémiotique de l'événement - - Paris, Lavoisier, 2006, p 20.

[27] Bernard Lamizet, Sémiotique de l'événement - - Paris, Lavoisier, 2006, p 20.

[28] مالك بن نبي، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص 92.

و في هذا الصدد يرى Bernard Lamizet، أنّ الفضاء العام بمفهومه الاتصالي يمنح واقعا رمزيا مبني على العلاقة بالآخر، لا على التجربة، وتنطوي أيضا على الإعتراف التشاركي بنفس القيّم والتمثلات والثقافة»[29].

ولقد أدّت هيمنة رمزية تمثلات التلاعب بالعقول، القائمة على محورية الجمهرة الثلاثية الأبعاد، العقلية، الوجدانية والجسدية لتكوين الإنسان ذو البعد الواحد، وأمام هذا الرصد التشخيصي فإنه يتعيّن أن يضطلع الخطاب الإعلامي في المجتمع المسلم، بوظيفته التبليغية، مستهدفا نماء الوعي الديني الثقافي، وكذا الإلمام بالفهم الصحيح لمجريات الأحداث في العالم أي أن مسؤولية الخطاب الإعلامي الرقمي في مجتمعاتنا، يتعين عليها، صناعة الوعي الفقهي والمقاصدي الوسيطي في مواجهة خطر التطرف، والوعي الحداثي وما بعد الحداثي قصد تحقيق التكيّف السوّي دوليا.

و عليه تتعين ولاية الخطاب الإعلامي على المسؤولية التبليغية الوسطية خاصة في ظل ظاهرة فوضى الخطاب الديني على صعيد الفضاءات التواصلية الرقمية: وذلك من خلال توظيف الأدلة الشرعية، في خطابات توضيحية تعريفية بسلاسة لأحكام الشريعة، ومرونتها، وتوخيها للمصالح وذرئها للمفاسد. وذلك من خلال محاور:

1. المحور الرباني: قال الله سبحانه وتعالى: « قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»[30].

[29] Bernard Lamizet, Sémiotique de l'événement, op-cit, p 30.

[30] القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية 71.

قال المفسّر ابن كثير في تفسير هذه الآية، يقول «مثَلكم إنْ كفرتُمْ بعد إيمانكم كمثل رجل خرج مع قوم على الطريق، فضَلَّ الطريق، فحيرته الشياطين واستهوته في الأرض وأصحابه على الطريق فجعلوا يدعونه إليهم يقولون: ائتنا فإنا على الطريق»[31].

و قال الله تعالى في محكم التنزيل أيضا: « وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ(80) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ»[32].

جاء عن ابن كثير قوله في هتين الآيتين: يقول تعالى، مخبرا عن خليله إبراهيم، حين جادله قومه فيما ذهب إليه من التوحيد، وناظروه بشبه من القول أنّه قال: «أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ». أي تجادلونني في أمر الله وأنّه لا إله إلا هو، وقد بصرني وهداني إلى الحق، وأنا على بينة منه، فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة»[33].

وعليه يعتبر التبيان المبسط والموضَّح في التشفير الإعلامي الإسلامي الوسطي بحقيقة، وأدلة التوحيد، واجبا وظيفيا، خاصة في ظل فوضى الخطاب، التي تطاحنت فيها الطوائف والتيارات الدينية، ولكلّ مزاعمه، من مغالاة، وتطرّف، وأخرى إلحادية منكرة لوجود الله سبحانه وتعالى، ومن شأن هذا الهذيان الرقمي أن يتسبّب إمّا في الفراغ الروحي للناشئة، أو سلكهم مسالك المغالين والمتطرفين.

[31] الإمام أبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، المجلد الثاني - - بيروت، دار الكتب للعلمية، 1997، ص 152.

[32] القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآيتين 80-81.

[33] الإمام أبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، المجلد الثاني، مرجع سبق ذكره، ص 160.

و عليه فإن التّبيان العقيدي الإسلامي الوسطي يتراوح بين كونه فرض عين في حالة تركه بالإجمال، أو فرض كفاية على القائمين بالاتصال الرقمي، مؤسسات أو أفرادا. وتعتبر الأهلية العلمية شرطا واجبا وإلّا فالإمساك أحوط.

ومن شأن هذا المحور التبليغي أن ينتج لدى المتلقي حالة ذهنية قائمة على العلم الصحيح، يتسنّى له بها مقاومة ما اختلط، من شبهات ومتلهات. ثمّ إنّ المعرفة بالذات الإلاهية، تمكّن الفرد المسلم من الإحاطة بحقيقة فقه التكليف، فيفرّق بين الواجب، والمباح، والندب، ويتجنب المحظور ولقد تكوّن لديه وعي فقهي قائم على العلم العقدي ممّا يمنحه مناعة فقهية وسطية أمام تيارات التشدّد الديني، وتميّزا عن الآخر في مشروعه الحضاري، دون انطواء على الذات.

2. **المحور النبوي:** إنّ مختلف النظريات الإعلامية، والاتصالية، وإن تناءت مشاربها الفكرية، وبغيتها العلمية، فإنها تتفق على حتمية تأثير الوسيلة والرّسالة على الأفق العقلي الإدراكي، والوجداني للمتلقي، ومنهما إلى السلوكي منه. وإنْ كان هناك اختلاف في النمط التأثيري نظرا لاختلاف عادات التلقي، والطبع الشخصي للفرد المستهدف. فالذي نجزم به من خلال الملاحظة هو تراوحه من المطلق إلى المقيّد، والنسبية مرهونة بالطبيعتين النفسية والمعرفية للفرد.

و نظرا لأنّ النفس البشرية تميل إلى محاكاة النماذج، فإنّ التشفير الإيجابي الوسطي في وجهته الحضارية. يتأتى عليه تسويق الصورة النموذجية النبوية في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم. خاصة في ظلّ الحملات الاستنفارية والتدابير الأمنية، التي أصبحت تعلنها الدول الغربية بين الفنية والأخرى في إطار المواجهة الأمنية لتحسّبات هجومية من طرف التنظيمات المتطرفة والتي تزعم أنها تنتسب للإسلام والشريعة الإسلامية منها براء.

و لقد قال الله تعالى في تأمين المشركين: «وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ»[34].

و لقد وضّح ابن كثير أن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء به لا يقتصر فقط على الجانب التعبدي. وأنّ هذا الأخير ليس هو الوحيد «الممثل لجوهر الدين بل أنّ كلّ فعل أو سكون أو همة نفس أو معاملة أو خلق أو مشاركة في فعل إيجابي عمل تعبدي»[35].

قال الله تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ»[36].

ولقد وضّح الشيخ يوسف القرضاوي مفهوم اتباع السلف وهو ما كان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلّم قائلا: «ليس معنى العودة إلى ما كان عليه السلف أن نكون نسخا كربونية لهم، بل المهم أن نتمثل منهجهم وروحهم في فهمهم وسلوكهم وتعاملهم مع الدين والحياة»[37]. وعليه فإنّ البناء الخطابي الإعلامي على أساس نبوي في نموذجية الإقتداء، من شأنه الإسهام في بلورة وعي فقه المعاملات في جميع مناحي الحياة: الأسرة، المصنع، المسجد، المعاملات التجارية، العلاقات الدولية، وعلى مستوى دولة المواطنة، كلّها مؤشرات

[34] القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 06.

[35] الإمام أبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، مرجع سبق ذكره، ص 33.

[36] القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية 158.

[37] يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي الإسلامي، ط2، الجزائر، الرحاب، 1989، ص 43.

حياتية، ما بعد حداثية، لها نماذج أصلية في السيرة النبوية، ولا تتنافى حاجة المعاصرة إلى النظر في أصول الخصوصية الإسلامية في غير انغلاق أو تقوقع.

و لقد ذكر الدكتور وهبة الزحيلي الشورى كمنهج سياسي: «بأنها الأسلوب الأفضل، والمنهج الأحكم لتجمع الأمة على رأي واحد... وحمايتها من الخلافات والنزاعات وحفظها من الانقسام والتشتت»[38].

موضحا: «أنها استطلاع رأي الأمة أو نوابها في الأمور العامة المتعلقة بها أو هي المشاركة في اتخاذ القرار بوسيلة العمل بالديمقراطية»[39]. ولقد قال ابن كثير في قول الله تعالى: «وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ»[40]، أي لا يبرمون أمرا حتى يتشاوروا فيه، ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها كما قال تبارك وتعالى: «وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» (سورة آل عمران الآية 159)[41].

من هذا الإيضاح يتبادر لنا الدور الوظيفي المتزن لاستثمار المحورين الرباني، والنموذج النبوي على مستوى التشفير الإيجابي الوسطي والحضاري للخطاب الإعلامي، في نماء أنماط من الوعي العقدي والفقهي والنموذجي النبوي في إطار تحقيق المقصد الوسطي.

و طالما أنّ الفرد المسلم، ينخرط كباقي الأفراد في المنظومة الاتصالية الرقمية فإن حضوره في هذا الفضاء يستدعي بلورة **وعي رقمي قيمي**.

و ذلك ما لا يمكنه أن يأتي إلّا بمراس خطابي إعلامي شارح للسياسة العالمية الإعلامية، والسياسات المنتهجة على الصعيد الدولي على أن ينطوي على

---

[38] أ.د وهبة الزحيلي، العالم الإسلامي في مواجهة التحديات الغربية - - دمشق، دار الفكر، 2010، ص 264.

[39] أ.د وهبة الزحيلي، مرجع سبق ذكره، ص 264.

[40] القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية 38.

[41] الإمام أبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، المجلد 4، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997، ص 118.

مدد تكيفي لمجموع المنطقين، وهي وظيفة الخطاب الإعلامي الحضاري الوسطي في تكييف الفواعل الدولية.

- **التشفير الخطابي التكييفي، والمتكيّف: «الاتزان الخطابي»**

نقصد به فنّ إدارة الخطاب الأصيل الذي يستلهم مصدريته من القرآن والسنة النبوية وإعطائه بعدا إنجازيا في الاستعمال الخطابي الإعلامي، ويستلهم هذا الإجراء من مقاصد الشريعة، في يسرها وتيسيرها لمجموع المتلقين. جاء عن العلامة محمد الطاهر بن عاشور قوله: في باب «ليست الشريعة بنكاية». أنه «لقد تأصل بنا القول في مبحث سماحة الشريعة ونفي الحرج عنها ما فيه مقنع من اليقين بأن الشريعة لا تشتمل على نكاية بالأمة. فمن خصائص شريعة الإسلام أنها شريعة عملية تسعى إلى تحصيل مقاصدها في عموم الأمة وفي خويصة الأفراد. فلذلك كان الأهم في نظرها إمكان تحصيل مقاصدها ولا يتم ذلك إلا بسلوك طريق التيسير والرفق»[42].

إلا أن هذه السماحة لابدّ أن تتهيكل في البعد التداولي للخطاب الإعلامي الإسلامي حتى تكتسي فاعلية حضارية.

و لقد بيّن غرايس في أصل هذه النظرية التواصلية اللسانية، «أن مفهوم الدلالة يقوم على مقصد مزدوج: مقصد تبليغ محتوى، ومقصد تحقيق هذا المقصد... وفي نفس هذا التوجه يميّز سبربر وولس بين مقصدين:

1. **المقصد الاخباري:** أي يقصد إليه القائل من حمل مخاطبه على معرفة معلومة معينة المقصد التواصلي أي ما يقصد إليه القائل من حمل مخاطبه على معرفة مقصده الإخباري ويرى هذان المختصّان: «أنّ كلّ تواصل مهما كانت

[42] فضيلة العلامة محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 100.

صورته، ومهما كان الشكل الذي يوظّفه... ينتمي إلى التواصل الإشاري الاستدلالي ونتائجه»[43].

و يقصد بالتواصل الإشاري الاستدلالي «أن تجتهد للبحث عن مقدمات منطقية ضمن المعطيات الموسوعية التي هي معطياتها، وأن تقوم باستدلال يقود في نهاية المطاف إلى نتيجة أو عدة نتائج»[44].

و هناك ثلاثة أنواع من النتيجة المعرفية المتحصلة في نهاية العملية الاستدلالية:

1. إضافة معلومات تمثل استنتاجا للعملية الاستدلالية (يسمي سبربر وولسن هذه المعلومات استلزامات سياقية».
2. التغيير في قوة الاقتناع باعتقاد ما.
3. إلغاء معلومة قديمة تناقضها معلومة جديدة».

بالإضافة إلى مراعاة مفهوم المناسبة: ويعني انتقاء المعلومات المتوافقة مع السياق. و«المعلومات المتوافرة مع السياق هي المعلومات التي لها حظّ أوفر في التوصل إلى نتائج كافية للحكم على قول ما بأنه مناسب»[45].

و عليه فإن انطواء النظرية التداولية في التوصيل التشفيري للخطاب الإسلامي الوسطي الحضاري، على بعدي الانجازية والبراغماتية يبرز كفاءتها في توصيل رسالة الأنا في ظل الفواعل الدولية ما بعد الحداثية، من خلال تفعيل آليات دراسة البناء الوظيفي لهذا التشفير، ومراعاته للسياق قصد النأي به عن العشوائية، أو الفوضى الخطابية. كما أن هذا الاستثمار النظري اللساني بسوّغ

---

[43] آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر. د. سيف الدين دغفوس، د. محمد الشيباني، ط1، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2003، ص 83.

[44] آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر. د. سيف الدين دغفوس، د. محمد الشيباني، ط1، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2003، ص 83.

[45] آن روبول، جاك موشلار، مرجع سبق ذكره، ص 87.

طريقة أدائية، على صعيد التدفق اللغوي المعرفي، ومراعاة سياقات الأقوال. وهو ما نقصد به التكييف الخطابي، أي مراعاة مقام المقال.

حيث أن الانخراط الرقمي للمجتمعات العربية المسلمة، فتح أبواب المنظومة القيمية الاتصالية، في إطار البرامج التواصلية الافتراضية، على ولاء الايديولوجيتين الامبريالية اقتصاديا والديمقراطية سياسيا وحقوقيا. والتنظير الدولي يقر هذا الطرح حيث أن افتراضات المقاربة الواقعية، التي من روادها بول فيوتي Paul Riviotti ومارك كوبي وتفترض «الواقعيون أن ضمن سلم النظام الهرمي للقضايا الدولية عادة ما يكون الأمن القومي، على رأس القائمة، فالجيش والقضايا السياسية ذات العلاقة تسيطر على عالم السياسة»[46].

و من أفكار هذه المدرسة ما قاله جون هونز في كتابه: الواقعية والمثالية السياسيتين Polotical realism and political idealism – Astory in theories and mentalities. «من أن التجربة تظهر على نحو جلي أنّ النزاع متأصل في العلاقات بين الأفراد، وكذلك بين الجماعات... يفرض علينا أن نكون على أهبة الاستعداد. والقوة والأمن هما الهاجسان الأساسيات لدى أتباع المدرسة الواقعية، فمن دون القوة لا أمن في العلاقات الدولية»[47].

مضيفا: «أن نظام الدولة العالمية هو مجتمع فوضوي، لكن هذا لا يعني أن لا نظام موجود، بل لا وجود فحسب لسلطة عليا تفرض النظام. وثمة نظام هو إلى حدّ ما نتيجة لتوازن دقيق في القوى، حيث تسعى كلّ دولة أو ائتلاف إلى

[46] د. عامر مصباح، منهجية البحث في العلوم السياسية والإعلام، ط2، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص 203.

[47] دايفد باوتشر، النظريات السياسية في العلاقات الدولية منثيوسيس حتى الوقت الحاضر، تر: رائد القانون، ط1، بيروت، مركز الدراسات الوحدة العربية، 2010، ص 27.

تعطيل أو تجديد قوة الآخرين»[48]، ولقد عرف هذا التيار بالواقعية الجديدة New realism»[49].

من هذه المعطيات يتأتّى لنا القول أن التكيف الخطابي الرشيد هو الذي يستوعب هذه المستجدات التحليلية في قراءة الوقائع الدولية، حتّى يحسن اختيار تموقعه، ولا يرجّ به في خطاب الفوضى. وهذا ما يستلزم تقنيات إدارة الخطاب، من تحديد للأهداف الخطابية، في إطار تخطيط زمني. وكذلك إدراج منهجية تسويق الخطاب من حيث المعرفة بطبيعة الجمهور المستهدف، وتوزيعه الإقليمي. هذا ما يفتح ورود نمطين خطابيين: داخلي وآخر دولي أو خارجي.

كما أنّ دراسة ردود أفعال الجمهور إثر وبعد عملية التلقي، من شأنها الإسهام في قياس فاعلية التشفير الخطابي. ولقد أفادت الدكتورة فريال مهنا في كتابها: إشكالية الجهاد في عصر المعلوماتية: في إطار معالجتها لمقاربات التراث في العصر الإسلامي أنه: من الضروري الإشارة ... إلى أنّ تأثيرات المعلوماتية وتداعياتها العولمية المتصاعدة لم تعد تحتمل الاستمرار في مصطلحات نظرية بحثة، ومماحكات فلسفية سريالية، ومقاربات تجريدية محصورة في نطاق النخب الفكرية العربية والإسلامية، لتطرح نظرتها المتعلقة: ببناء أنساق فكرية مشتركة، تتحرك من مواقع التحليل للظاهرات في شموليتها، إلى مواقع تأسيس معرفي ينصب، بشكل ملموس وعلمي على الإشكاليات الكبرى المتعلقة بكيفية تفعيل وتجديد ... وتوظيف العمق التراثي الإسلامي بكل جوانبه العقدية والشريعية والقيمية[50].

---

[48] نفس المرجع السابق، ص 47.

[49] نفس المرجع السابق، ص 47.

[50] د. فريال مهنا، إشكالية الجهاد في عصر المعلوماتية، عبر معضلات الهوية والسيادة والآخر، ط1، دمشق، دار الفكر، 2005، ص 120.

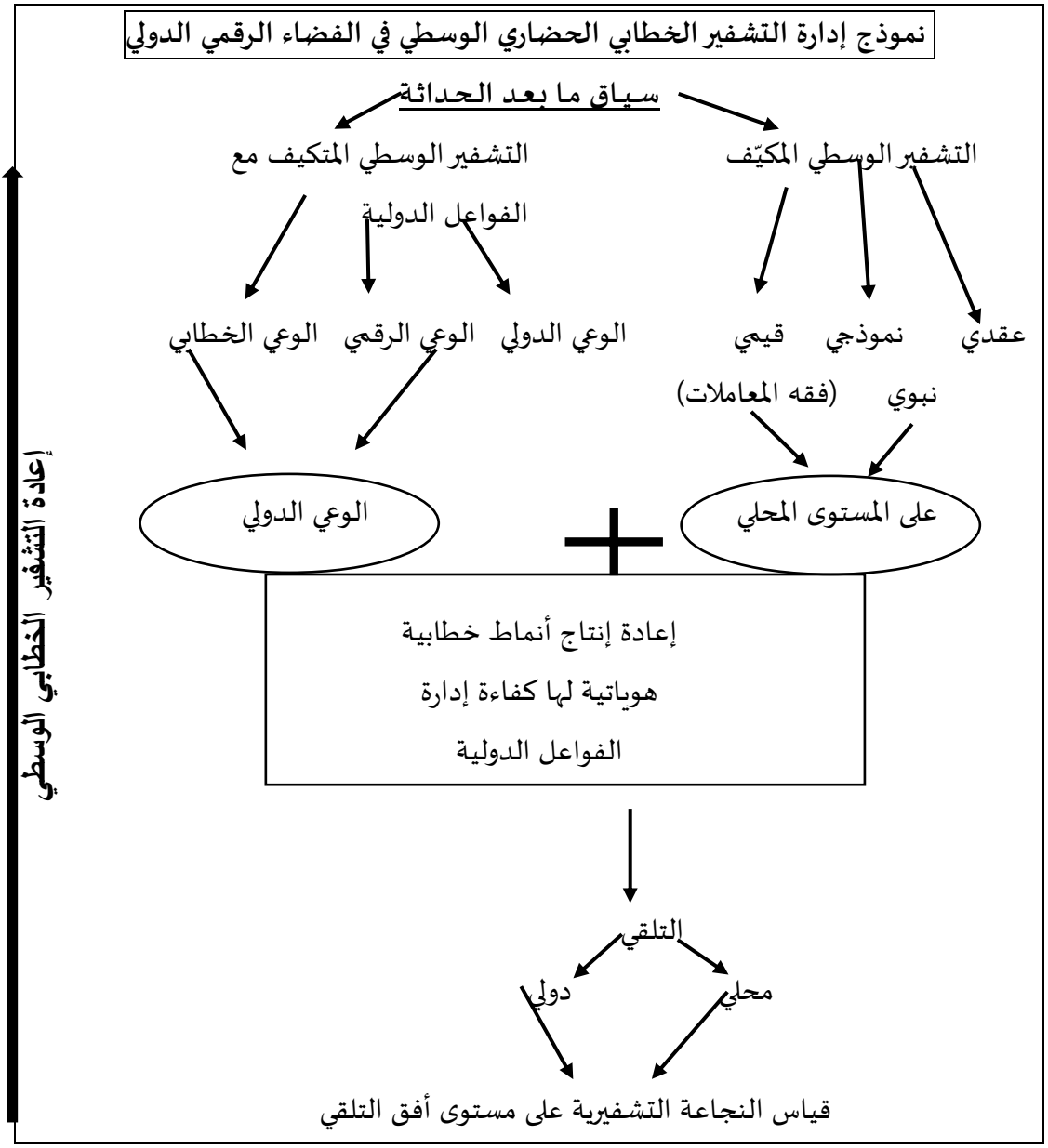
نموذج إدارة التشفير الخطابي الحضاري الوسطي في الفضاء الرقمي الدولي
سياق ما بعد الحداثة
التشفير الوسطي المكيّف
التشفير الوسطي المتكيف مع الفواعل الدولية
عقدي
نموذجي
قيمي
نبوي
(فقه المعاملات)
الوعي الدولي
الوعي الرقمي
الوعي الخطابي
على المستوى المحلي
الوعي الدولي
إعادة إنتاج أنماط خطابية هوياتية لها كفاءة إدارة الفواعل الدولية
إعادة التشفير الخطابي الوسطي
التلقي
محلي
دولي
قياس النجاعة التشفيرية على مستوى أفق التلقي

قائمة المراجع باللغة العربية :

1- الإمام أبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، المجلد الثاني - - بيروت، دار الكتب للعلمية، 1997.

2- امبرتوايكو، العلامة، تحليل المفهوم وتاريخه، تر: سعيد بنكراد، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2007

3- د. عزي عبد الرحمن، دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر إعلامي متميز، ط1،بيروت،مركز دراسات الوحدة العربية

4- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، سوريا،دار الفكر،1982.

5- يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي الإسلامي، ط2، الجزائر، الرحاب، 1989.

6- أ.د وهبة الزحيلي، العالم الإسلامي في مواجهة التحديات الغربية - - دمشق، دار الفكر، 2010.

7- فضيلة العلامة محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية.ط2،تونس،دار السلام،2008.

8- آن روبول، جاك موشلار، التدتولية اليوم علم جديد في التواصل، تر. د. سيف الدين دغفوس، د. محمد الشيباني، ط1، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2003.

9- د. عامر مصباح، منهجية البحث في العلوم السياسية والإعلام، ط2، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010.

10- دايفد باوتشر، النظريات السياسية في العلاقات الدولية من ثيوسيس حتى الوقت الحاضر، تر: رائد القانون، ط1، بيروت، مركز الدراسات الوحدة العربية، 2010.

د. فريال مهنا، إشكالية الجهاد في عصر المعلوماتية، عبر معضلات الهوية والسيادة والآخر، ط1، دمشق، دار الفكر، 2005.

المراجع باللغة الفرنسية :

1- Alex Mucheilli, Les sciences de l'information et de la communication, 3ème Edition - - paris, Hachette, 2001.

2- Bernard Lamizet, Sémiotique de l'événement - - Paris, Lavoisier, 2006.

3- Daniel Bougnoux, Introduction aux sciences de la communication - - Paris, La découverte, 2001.

4- Jean Caunne, Culture et communication, convergence théorique et lieux de médiation, - - paris, presse universitaire de Grenoble, 1995.

.